الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
يونيورسيتي إسلام انتارابغسا ملايسيا

الإصلاح الفكري والاجتماعي في تفسير ابن عاشور
دراسة موضوعية

إعداد:
عبد الرحمن حسين الكودي

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

آذار-٢٠٠٩

مُلخّص البحث

إنّ هذا البحثَ "الإصلاحُ الفكري والاجتماعي في تفسيرِ ابنِ عاشُور" يتناول فكر شخصية علمية كبيرة لم تنل حقها الوافي من الدراسة، ويلقي الضوء على حياته الفكرية والسياسية، ويسعى لتفسير جهوده في إصلاح مناهج التعليم، وبيان مدى الانسجام أو التعارض بين فكره وممارسته، ويحاول تقييم بعض أفكاره ويكتفي بعرض أخرى إن كانت من باب الاجتهاد والاختلاف المشروع. وعموماً يهدف إلى تحقيق نقاط نجملها فيما يلي:

١-إظهار القيمة العلمية لتفسير ابن عاشور، كتفسير جمع بين الطريقة التقليدية في التأليف والطريقة المعاصرة في معالجة بعض المسائل التي كثر حولها الجدل.

٢-بيان العلاقة بين المدارس الإصلاحية وعملية انتقال وتبادل الأفكار من مدرسة إصلاحية إلى أخرى، من خلال متابعة أوجه التماثل بين معالجة الشيخ ابن عاشور لبعض القضايا وبين معالجة مدارس أخرى للقضايا نفسها كمدرسة الشيخ محمد عبده.

٣-رصد جهود الشيخ في مجال الإصلاح الفكري والاجتماعي من خلال انتخاب مسائل بعينها انصب مجهود الشيخ عليها أكثر من غيرها، كإصلاح مناهج التعليم ومن بينها مناهج المفسرين في تفسير القرآن الكريم، وحقوق الآخر في الدولة الإسلامية، وغيرها من القضايا التي كانت ولا تزال محور الأحاديث في المناهج المقترحة لمعالجة واقع الأمة الإسلامية وإخراجها من أزمتها الراهنة.

٤- بيان الخطوط العامة التي انتهجها المؤلف في تفسيره التحرير والتنوير، وتحليل منهجه تحليلا عاما دون الدخول في التفاصيل.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي، من خلال وصف عام لتفسير ابن عاشور وتوضيح منهجه العام الذي اتبعه، ومن ثم تحليل المسائل التي شغلته في مهمته الإصلاحية الفكرية والاجتماعية وإظهار دعوته تلك في تفسير النصوص القرآنية، وتوضيح سياسته التي انتهجها في وضع أفكاره وتصوراته في تفسيره بصورة خاصة.

وعمدتنا في سبيل تأصيل ما نتوخاه هو تفسير الشيخ القيم: التحرير والتنوير بأجزاءه الثلاثين، و المصادر الفرعية هي مصنفاته المتعددة كأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وأليس الصبح بقريب، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وغيرها مما صنفه الشيخ أو من ألف حول جهوده في الميادين المختلفة.

ABSTRACT

This study "the intellectual and social reform in tafsir of Ibn `ashur" addresses the thought of a great scholar which has not been fully analyzed. It sheds light on his intellectual and political career and his efforts on curriculum reform. The study also explain the agreement and controversy between the thought of Ibn `Ashur and his practice. It finally evaluates some of his thought, which could not be categorized as personal Ijtihad.

Generally, the study aims at the following:

1. Showing the scientific value of tafsir Ibn `Ashur as an exegesis which combined the classical method in writing and the modern method in addressing controversial issues.
2. Showing the relationship between various schools of reformation and the process of transformation of ideas and exchange of opinion by analyzing how Ibn 'Ashur dealt with certain issue and how other scholars, such as Mohd Abdah's school, dealt with the same issue.
3. Focusing on the efforts of Ibn 'Ashur in the field of intellectual and social reform. Certain topics were selected for this purpose such as curriculum reformation, methodologies of the exegesis of the holy Qur`an, the rights of non-Muslims in the Islamic state, and other issues which are still controversial in Islamic circles.
4. Explaining the outline followed by Ibn `Ashur in his tafsir "Al-Tahrir wa Al-Tanwir" and analyzing his general methodology without going into details.

The study follows a descriptive method. General description of Ibn `Ashur`s tafsir, his methodology, the issues he dealt with in his intellectual and social reform, the way he used Qur`anic texts to support his opinion, and his style in expressing these opinion, are given. The primary resource of this study is the tafsir of Ibn `Ashur –15 volumes. Other writings of Ibn `Ashur were also used as secondary sources.

APPROVAL PAGE

I certify that I have supervised and read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality as a thesis for degree of Master in Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Qur'an and Sunnah Studies).

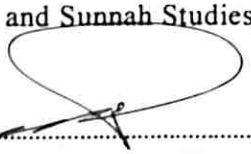

.....

Muhammed Baha' Addin Hussein
Supervisor
Date: 9-5-2001

I certify that I have read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality as a thesis for degree of Master in Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Qur'an and Sunnah Studies).

.....

Sohirin M. Solihin
Examiner
Date: 9-5-2001

This thesis was submitted to the Department of Qur'an and Sunnah studies and is accepted as partial fulfillment of the requirements for the degree of Master in Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Qur'an and Sunnah Studies).

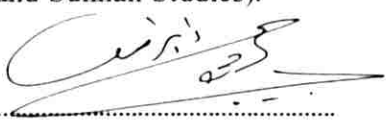

.....

Habeeb Rahman Ibramsa
Head,
Department of Qur'an and Sunnah Studies
Date: 9-5-2001

This thesis was submitted to the Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences and is accepted as partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Qur'an and Sunnah Studies)

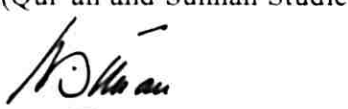

.....

Mohd. Aris Othman
Dean,
Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences
Date: 9/5/2001

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. Other sources are acknowledged by footnotes giving explicit references and a bibliography is appended.

NAME: ABDULRAHMAN OBEID HUSSEIN

SIGNATURE:..... DATE.....9/5/2001.....

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٠٠م محفوظة لـــ: عبد الرحمن حسين الكردي

الإصلاح الفكري والاجتماعي في تفسير ابن عاشور "دراسة موضوعية"

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١. يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتاباتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢. يكون للجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣. يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤. سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغيير العنوان.

٥. سيتم الاتصال بالباحث لغرض استحصال موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة، وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تأريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا باستخدام حقها في تزويد الطالبين به.

أكد هذا الإقرار: عبد الرحمن عبيد حسين الكردي

9/5/2001

التاريخ

التوقيع

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي الكريمين الدكتور محمد بهاء الدين حسين الأستاذ المشارك بقسم الدراسات القرآنية والحديثية بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، والأستاذ المشارك سهيرين صالحين على إشرافهما على هذه الرسالة، وما أسدوه من نصح وتوجيه كان له أثره في إنجاز هذا البحث وتقويمه.

وأتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذين الدكتور محمد بن نصر، والدكتور محمد الطاهر الميساوي على ما بذلوه من جهود مشكورة لإخراج هذا البحث في صورته النهائية، بما أمدوني به من كتب قيمة وملاحظات سديدة.

كما أشكر للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وأخص بالشكر كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، بما أتاحته لي من فرصة إكمال الدراسة، وكذا كل من قدم لي خدمة وأسدى إلي توجيهات من الأساتذة الكرام أو الاخوة الزملاء.

فجزى الله الجميع خير الجزاء، وجعلهم هداة للعلم، ووفقنا وإياهم لما يحب ويرضى.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث بالعربية	أ
ملخص البحث بالإنجليزية	ب
صفحة القبول	ت
تصريح	ث
إقرار بحقوق الطبع	ج
شكر وتقدير	ح
فهرست	١
الفصل الأول: تمهيد	٣
مقدمة	٤
إشكالية البحث	٦
أهمية البحث	٧
أسئلة البحث	٨
منهجية البحث	٨
الدراسات السابقة	٨
هيكل البحث	١٢
الفصل الثاني: منهج ابن عاشور في التحرير والتنوير	١٤
المبحث الأول: الأصالة والمعاصرة في شخص وفكر ابن عاشور	١٥
المبحث الثاني: الخطوط العامة لمنهجه في التفسير وأثر المقاصد فيه	٣٠
الفصل الثالث: الإصلاح الفكري في ضوء التحرير والتنوير	٤٦
المبحث الأول: الحضارة ومفهوم الدولة	٤٧
المبحث الثاني: الآخر في نظر ابن عاشور	٦٠
الفصل الرابع: الإصلاح الاجتماعي في التحرير والتنوير	٧٤
المبحث الأول: إصلاح مناهج التعليم والتأليف	٧٥

المبحث الثاني: مكانة المرأة ٩٨
خاتمة البحث ١١٠
قائمة بالمسائل العقدية والكلامية في التحرير والتنوير ١١٢
قائمة بالقضايا الفكرية والاجتماعية في التحرير والتنوير ١١٩
قائمة المصادر والمراجع ١٢٤

الفصل الأول: تمهيد

- مقدمة
- إشكالية البحث
- أهمية البحث
- أسئلة البحث
- منهجية البحث
- الدراسات السابقة
- هيكل البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية للعالمين، مفتاح لمنافع الدنيا والدين، جمع بين دفتيه من العلوم ما أدهش كل من له لب وبصيرة، فلازالت أقلام العلماء تنهل من علومه الزاخرة ولا ينضب لها معين، وكان علم التفسير من أجل علومه وأغزرها وأنفعها، به تفهم المعاني وتستخرج الأحكام، فنال اهتماما منقطع النظير في مختلف المراحل منذ نزول القرآن الكريم، فلم يخل زمان من تفسير جليل يجلي معانيه ويقف على مراميه، وكلما مر الزمان وتجددت المعارف وتنوعت حاجات الإنسان، اكتشف العلماء في القرآن معاني ما كان لمن سبقهم أن يكتشفوها فتجددت الحاجة إلى تفاسير تواكب العصر، وتفي بما تتطلع إليه نفوس الطالبين، وحفل القرن الماضي بتفاسير عقلية ونقلية، اجتماعية وفكرية، تسعى لسد ثغرة في الفكر الإسلامي المعاصر، وتهدف بيان هدايات القرآن، والكشف عن حكمه وأحكامه، وإزالة الشكوك والشبهات التي أثارها أعداء الإسلام حول أصالة الحقائق القرآنية التي حاولوا طمسها وتشويهها بغية النيل من الإسلام.

و الشيخ العلامة ابن عاشور اسم لامع في سلسلة أسامي علماء القرن المنصرم، وتفسيره يحتل منزلة مرموقة في مكتبة التفاسير المعاصرة، برع في علوم اللغة بعد أن تمهل في ارتيادها آونة، وتعب في التنقير عنها أزمنة، فجمع بين التحقيق والحفظ، ووفقه الله لكتابة تفسيره (التحرير والتنوير) بعد أن صرف سنوات طوال مكبا على الدرس والمطالعة، وأفرغ فيه حصيلة الأعوام، وعصارة فكر عركته الحياة وعركها في صراع لم يتوقف لإصلاح ما أفسدته السنون والمناهج البالية.

والشيخ وإن كان عرف أصوليا، باحثا في مقاصد الشريعة، ومواصلا ما بدأه الإمام الشاطبي، فإنه في علم التفسير أطول باعا ونفسا، ولعل دراستنا هذه تكشف بعض ما خفي من شأن هذا التفسير وما له من أثر في عمليتي الإصلاح الفكري والاجتماعي، سواء ما تعلق منه بمناهج التعليم، أو بمكانة المرأة، أو بحقوق الآخرين في الدولة الإسلامية، أو ما

تعلق بإلقاء الأضواء على طبيعة العلاقة بين دعوة الشيخ الإصلاحية، ومدرسة الإمام محمد عبده وأثرها في آراء ابن عاشور الإصلاحية، أو ما تعلق بالجديد الذي طرحه العلامة في تفسيره القيم.

أولا: إشكالية البحث

منذ أن فقد العالم الإسلامي وجوده السياسي كقوة فاعلة في أواخر القرن الماضي دخل دوامة لم يستطع الخروج منها وهو على مشارف القرن الحادي والعشرين، وفي الصفحة المنبسطة على مساحة قرن مضى تطالعنا قراءات متعددة لتراثنا العريق والغني، قراءات تآكل بعضها من الداخل وأخرى سعت لهدم غيرها، وكانت الحصيلة مجموعة أخرى من الكتب أضيفت إلى رفوف المكتبة الإسلامية، وبقيت حالة الازدواجية الحزينة، يحمل المسلم منهجا قويما ويحتل منزلة في آخر السلم الحضاري.

أضف إلى هذا دخول العلمانية إلى الساحة بقوة بما تحمله من دعوات إما لتنحية التراث وتبني مناهج مستوردة،وأما لصبغ التراث بصبغة مستوردة كذلك، فكانت الدعوة إلى إجراء إصلاحات فكرية واجتماعية، وإصلاح مناهج التعليم التي تقادم عليها الزمان، وأبلاها تعاقب السنين ضرورة ملحة يمليها الواقع، وتمليها التحديات المحيطة بالعالم الإسلامي، وبدأت حركة إصلاح واسعة كانت حلقاتها الأولى مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ولا زالت حلقات السلسلة تتكامل، وألقت دعوتهما بظلالها على كتابات كثير ممن تأثروا بمنهجهما وجاؤوا بعدهما.

وكانت تونس من بين البلاد الإسلامية التي طال حكم الأجنبي لها، وسعى سعيا حثيثا لفرنسة ثقافته الإسلامية، ولغته العربية، وطبع برامج التعليم بالطابع الغربي، وتصدى العلماء التقليديون لهذه المحاولات بما لديهم من أسلحة قديمة، فلم تنفعهم في معركة حديثة، يتبنى عدوهم فيها مناهج فكرية رصينة وعلوما يفتقدها المسلمون، فكان لا بد لمقارعة الفكرة بالفكرة، والمنهج بالمنهج، من علماء أكفاء يحملون عبئ المواجهة، فكان خير الدين باشا التونسي صاحب كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، وكان الشيخ محمود قبادو، والشيخ محمد عبد العزيز بوعتور من العلماء المصلحين، وحاول الإمام ابن عاشور من بعد إتمام مشروعهم الحضاري لإخراج تونس والبلاد الإسلامية من واقعها الأليم بجعل جامع الزيتونة نموذجا لمؤسسات التعليم الاسلامي، و لم يكن منهج الشيخ في إصلاحه الاجتماعي والفكري وإعادة بناء مناهج التعليم والتأليف قائما على رفض كل ما هو قديم، وتبني كل ما هو محدث، بل سار في خط يجمع بين الأصالة والمعاصرة، يحافظ

على عراقة الثقافة الإسلامية، وينهل من العلوم الجديدة، وبدأ الشيخ حركته الإصلاحية بتأليف كتابه: أليس الصبح بقريب، بعد أن التقى بالشيخ محمد عبده في تونس، ولقبه الشيخ محمد عبده بسفير الدعوة والإصلاح في الزيتونة، ولقي ابن عاشور ما لقي من علماء الزيتونة وجهلة الناس في سبيل دعوته الإصلاحية.

وواصل ما بدأه الشاطبي في علم مقاصد الشريعة، وتكللت جهود الإمام ابن عاشور بتفسيره الكبير: التحرير والتنوير، أودع فيه خلاصة علومه ومعارفه، وزبدة منهجه بعد سنوات طوال من العمل الدؤوب، وضمنه آراءه في الإصلاح العقائدي والفكري والاجتماعي من خلال قضايا رئيسية تدور حولها باقي القضايا والهموم.

ثانيا: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في السعي إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- إظهار القيمة العلمية لتفسير ابن عاشور، كتفسير جمع بين الطريقة التقليدية في التأليف والطريقة المعاصرة في معالجة بعض المسائل التي كثر حولها الجدل، وإجراء بعض المقارنات بين هذا التفسير وغيره من التفاسير.

٢-بيان العلاقة بين المدارس الإصلاحية وعملية انتقال وتبادل الأفكار من مدرسة إصلاحية إلى أخرى، من خلال متابعة أوجه التماثل بين معالجة الشيخ ابن عاشور لبعض القضايا وبين معالجة مدارس أخرى للقضايا نفسها كمدرسة الشيخ محمد عبده.

٣-رصد جهود الشيخ في مجال الإصلاح الفكري والاجتماعي من خلال انتخاب مسائل بعينها انصب مجهود الشيخ عليها أكثر من غيرها، كإصلاح مناهج التعليم ومن بينها مناهج المفسرين في تفسير القرآن الكريم، وحقوق الآخر في الدولة الإسلامية، وغيرها من القضايا التي كانت ولا تزال محور الأحاديث في المناهج المقترحة لمعالجة واقع الأمة الإسلامية وإخراجها من أزمتها الراهنة.

٤- بيان الخطوط العامة التي انتهجها المؤلف في تفسيره التحرير والتنوير، وتحليل منهجه تحليلا عاما دون الدخول في التفاصيل.

ثالثا: أسئلة البحث

يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما هو موقف الشيخ ابن عاشور من التيارات الفكرية الحديثة، وما مدى التأثير الفكري لمدرسة الشيخ محمد عبده الإصلاحية على تفسير التحرير والتنوير؟

٢- ما الإسهامات التي قدمها الشيخ لإصلاح مناهج التعليم ومناهج المفسرين؟

٣- كيف عالج الإمام ابن عاشور في تفسيره بعض القضايا المعاصرة من قبيل قضية حقوق المرأة، ومفهوم الآخر، والحضارة ومفهوم الدولة؟

٤- ما المنهج العام الذي اتبعه الإمام ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، وإلى أي مدى حد أثرت نظرته المقاصدية في تفسيره؟

رابعا: منهجية البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي، من خلال وصف عام لتفسير ابن عاشور وتوضيح منهجه العام الذي اتبعه، ومن ثم تحليل المسائل التي شغلته في مهمته الإصلاحية الفكرية والاجتماعية وإظهار دعوته تلك في تفسير النصوص القرآنية، وتوضيح سياسته التي انتهجها في وضع أفكاره وتصوراته في تفسيره بصورة خاصة تعكس حذره تارة، وتارة أخرى جرأته التي يقل لها نظير، ومحاولة تقييم تصوراته وأفكاره الإصلاحية لوضعها في منزلتها التي تستحق.

وعمدتنا في سبيل تأصيل ما نتوخاه هو تفسير الشيخ القيم: التحرير والتنوير بأجزاءه الثلاثين، و المصادر الفرعية هي مصنفاته المتعددة كأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وأليس الصبح بقريب، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وغيرها مما صنفه الشيخ أو من ألف حول جهوده في الميادين المختلفة.

خامسا: الدراسات السابقة:

إن الدراسات التي تدور حول جهود الشيخ ابن عاشور المختلفة قليلة وتدور في مجملها في فلك المقاصد واللغة والفقه، ولا نعلم بحثا ألف عن دور تفسير التحرير والتنوير

في حركة الإصلاح، و لم يلق الشيخ عناية كافية من قبل الباحثين عن إسهاماته الفكرية، ومحاولاته الجادة لإصلاح حركة التعليم، وتصحيح النظرة الضيقة إلى مفهوم الآخر، وإزالة الغبن الذي كانت ولا تزال تعانيه المرأة المسلمة.

وأهم الكتب التي كتبت في هذا المضمار:

١. أبو حسان، جمال محمود أحمد: **تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير: دراسة منهجية ونقدية** (بحث مخطوط قدم استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الشريعة/أصول الدين بكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، تحت إشراف الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس).

قسم الباحث رسالته إلى ثمانية فصول، الأول عن مصادر ابن عاشور في تفسيره، والثاني عن المنهج العام لابن عاشور في تفسيره، والثالث عن قضايا علوم القرآن في تفسيره، والرابع عن القضايا اللغوية والبلاغية في تفسيره، والخامس عن القضايا العقدية في تفسيره، والسادس عن منهج الشيخ في عرض آيات الأحكام، والسابع عن الإسرائيليات وموقف الشيخ منها، والأخير : هذا التفسير ما له وما عليه "في صفحتين".

٢. الحسني، إسماعيل: **نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور**، (الولايات المتحدة الأمريكية، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٥م).

صرف الباحث جهده في هذا الكتاب إلى توضيح النظرة المقصدية عند ابن عاشور، والمرتكزات التي يقوم عليها فكره المقصدي وانعكاساتها على الفقه والفتوى، وإن لمسنا إشارات من المؤلف إلى شيء يمكن أن يدرج في باب جهود الشيخ الفكرية فإنما طرحها المؤلف تحت بند مقصدي، والكتاب قيم في بابه، يدخل في الدراسات الأصولية لا القرآنية.

٣. خالد، أحمد: **أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل** (تونس: الدار التونسية للنشر، ط٣، ١٩٨٥).

هذا الكتاب وضع أصلا للدفاع عن الطاهر الحداد صاحب مؤلف "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" الذي سبب ضجة في حينه، لتناوله مجموعة مسائل أثارت ثائرة العلماء

عليه، كان من أهمها وأخطرها انتصاره لفكرة تاريخية الشريعة الإسلامية، وكان ابن عاشور واحدا من الذين ردوا عليه باختصار، وعينته نظارة الزيتونة رئيسا للجنة التحقيق في كتاب الحداد باعتباره من أساتذة الزيتونة، فحكمت بسحب الشهادة منه، ورمته بالكفر، وفي هذا الكتاب يسعى أحمد خالد إلى رفع "الغبن" الذي لحق بالحداد –على حد تعبيره– وإظهاره بمظهر المصلح الكبير والعالم المتنور، ويرد فيه على منتقديه بعد بسط آرائهم، كما وأثبت في كتابه المسائل الخمس عشرة المطروحة على العلماء مع أجوبتها باختصار، وبدأ كتابه بوضع إطار عام لترجمة الحداد في سياق البيئة التونسية، ثم عرف بنضاله في الميادين المختلفة، وحلل كتابه "العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية"، ثم حلل كتابه الآخر والأهم "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"، مع بيان صدى آرائه في المجتمع التونسي وتفاصيل الخصومة حول هذا الكتاب، وأهمية هذا الكتاب تظهر في مبحثي: مكانة المرأة في النظام الاجتماعي، والآخر من وجهة نظر ابن عاشور.

٤. العياشي، مختار: **البيئة الزيتونية ١٩١٠–١٩٤٥: مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية**، نقله من الفرنسية حمادي الساحلي (تونس: دار التركي للنشر، د. ط، ١٩٩٠).

يدور هذا الكتاب عن المحاولات التي قام بها الطلبة والنخبة النيرة من المدرسين المصلحين لإصلاح مناهج التعليم، ويتألف من ثلاثة أقسام، القسم الأول يبحث في مختلف أطوار قضية إصلاح التعليم بالجامع الأعظم، وما قامت به السلطة الاستعمارية من مناورات، لإحباط المساعي المبذولة من قبل الزيتونيين منذ سنة ١٩١٠، ويتعلق القسم الثاني بتاريخ الحركة الطلابية منذ نشأتها في مطلع القرن العشرين إلى انتهاء الحرب العالمية الثانية، كما يحتوي على معلومات هامة حول تطور عدد الطلبة الزيتونيين خلال تلك الفترة وظروفهم المادية ونشاطهم النقابي والسياسي والثقافي، وذلك من خلال دراسة فترات أربع متميزة من كفاح الطلبة، وتناول في القسم الثالث حركة المدرسين التونسيين ونضالهم الثقافي والسياسي من أجل تحقيق مطالبهم المهنية، وأهدافهم السياسية الوطنية، وبين الحين والآخر يذكر العلامة ابن عاشور باعتباره شيخ

الجامع الأعظم لدورتين، والمفتي المالكي للبلاد، ويلقي الأضواء على مجموعة أحداث هامة في حياة وفكر الشيخ.

٥. الغالي، بلقاسم: **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، حياته وآثاره**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٦).

يقع هذا الكتاب في ٢٦٤ صفحة، ويتألف من أربعة أبواب هي على التوالي: عصره وحياته، ابن عاشور مفسرا ومحدثا، ابن عاشور مجتهدا، ابن عاشور مصلحا، وقدكتب المؤلف كتابه هذا ردا على التهم التي أشيعت عن الشيخ، من موالاته لسلطات الاحتلال الفرنسي، وفتاويه ومكانته العلمية، فسعى المؤلف من خلال سرد سيرة شيخ الزيتونة وإلقاء الأضواء على نشاطاته العلمية وتآليفه وأعماله في مجال التعليم إلى رفع الغبن الذي عادة ما يلحق برجال الإصلاح، ومحاولة المؤلف الجاهدة لكتابة شمولية عن ابن عاشور أعاقته عن الخوض في تفاصيل المسألة الواحدة التي قد تستغرق فصلا كاملا، ففي الباب الرابع من كتابه –على سبيل المثال- عقد مباحث عن إصلاح الفكر ومكانة المرأة في النظام الاجتماعي في الإسلام والحكومة والدولة الإسلامية، لم يتجاوز كل بحث منها الصفحة الواحدة، مما يدل على أن المؤلف لم يعن ببيان التفاصيل وإثراء المواضيع، وحديثه عن تفسير ابن عاشور في الفصل الأول من الباب الثاني تركز على إعجاز القرآن ومفرداته وتناسب الآي مما يمت إلى بحثنا بطرف بعيد.

٦. الميساوي، محمد الطاهر: **ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**، (البصائر للإنتاج العلمي، د.م، ط١، ١٩٩٨م).

عقد المحقق تمهيدا في ١٠٠ صفحة عن ابن عاشور وهموم الإصلاح، ونظرة ابن عاشور إلى العوامل التي أدت إلى تأخر العلوم الإسلامية ومداخل إصلاحها وأوجه قصورها، وبين المحقق تحليل ابن عاشور لتأخر كل من علم التفسير وعلم الكلام وعلم اللغة والمنطق والفقه وأصوله، وأساليب النهوض بها من جديد، وحرص المحقق على الإكثار من عبارات ابن عاشور نفسه لتنطق بما انتهى إليه من تشخيص وما ذهب إليه من رأي، ويلقي الأضواء على تنظير ابن عاشور للمقاصد الذي لم يكن تنظيرا من بلب الترف العقلي أو طلبا للمتعة الذهنية المجردة وإنما كان ذا غايات عملية تهم المسلمين في

حياتهم الفكرية الاجتماعية الراهنة، وأطال المحقق الكلام في ما بين أصول الفقه ومقاصد الشريعة من علاقة، وكان حديثه عن تفسير الشيخ ومنهجه، ومدى تجاوبه مع الإصلاحات التي نادى بها في مجال تصحيح مناهج التعليم، لا يتجاوز ثلاث صفحات الأمر الذي يعنينا أكثر في بحثنا المقترح.

٧. النجار، عبد المجيد عمر: **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢).

يحوي هذا الكتاب مجموعة مباحث تندرج في إطار الفكر الإسلامي بالمغرب، ومقسمة على محورين: محور يتعلق بالفكر العقدي، ومحور يتعلق بالفكر الأصولي الفقهي، وفي المحور الثاني عقد المؤلف مبحثا –هو المبحث الثالث– عن الفكر الأصولي المغربي الذي مثل ظاهرة ريادية في فكر المقاصد الشرعية، بعقد مقارنة بين الرائد الأكبر في علم المقاصد وهو الإمام الشاطبي، وبين مستأنف هذه الريادة وهو الإمام ابن عاشور، وتناول في مقارنته تلك وسائل الكشف عن مقاصد الشريعة والتي تعتبر خلاصة الفكر المقصدي، ومن خلال مقارنته أظهر الدوافع الحقيقية عند ابن عاشور لمتابعة التأليف في المقاصد، وبين إثر اختلاف الوسائل الكاشفة عن المقاصد في تقعيد علم المقاصد الشرعية.

سادسا: هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من أربعة فصول وملحق موزعة كاللآتي:

الفصل الأول: فصل تمهيدي

-إشكالية البحث.

-أهمية البحث.

-أسئلة البحث.

-منهجية البحث.

-الدراسات السابقة.

الفصل الثاني: منهج ابن عاشور في التحرير والتنوير.

المبحث الأول: : الأصالة والمعاصرة في شخص وفكر ابن عاشور.

المبحث الثاني: الخطوط العامة لمنهجه في التفسير، وأثر المقاصد فيه.

الفصل الثالث: الإصلاح الفكري في ضوء تفسير التحرير والتنوير:

المبحث الأول: إصلاح مناهج التعليم والتأليف.

المبحث الثاني: الآخر في نظر ابن عاشور.

الفصل الرابع: الإصلاح الاجتماعي في ضوء التحرير والتنوير:

المبحث الأول: الحضارة ومفهوم الدولة.

المبحث الثاني: مكانة الأسرة في النظام الاجتماعي.

ملحق:

١- قائمة في مواضع المسائل العقدية والكلامية في التحرير والتنوير.

٢- قائمة في مواضع القضايا الاجتماعية والفكرية في التحرير والتنوير.

الفصل الثاني: منهج ابن عاشور في التحرير والتنوير

المبحث الأول: الأصالة والمعاصرة في شخص وفكر ابن عاشور

المبحث الثاني: الخطوط العامة لمنهجه في التفسير وأثر المقاصد فيه

المبحث الأول: الأصالة والمعاصرة في شخص وفكر ابن عاشور

ينحدر الإمام محمد الطاهر ابن عاشور من عائلة أندلسية نزحت إبان الاضطهاد الديني إلى المغرب الأقصى، وترعرع في ظل عائلة تولي الدين والدراسات الدينية عناية كبيرة، فنبغ في هذه العائلة علماء أفذاذ كجد الشيخ لأبيه محمد الطاهر ابن عاشور المفتي والفقيه والإداري، وجده لأمه محمد العزيز بوعتور العالم ووزير القلم المصلح، وكانت ولادته سنة ١٨٧٩م في ضاحية المرسي من ضواحي تونس العاصمة[١]،وتلقى دراسة تقليدية على يد المشايخ المعتبرين ليلتحق بعد ذلك بجامعة الزيتونة العريقة، وبوتيرة متسارعة ترقى في سلم الوظائف في الجامعة لهمته العالية واجتهاده الذي لم ينضب، ودعم هذا انتماؤه إلى عائلة عريقة لها صلات طيبة مع السلطة، فكان مدرسا من الطبقة الثانية سنة ١٩٠٣م، ثم من الدرجة الأولى سنة ١٩٠٥م، وخلال ذلك درس في المدرسة الصادقية وعين عضوا في لجنة الإصلاح[٢]،وتولى مهام شيخ الجامع الأعظم وشيخ الإسلام المالكي سنة ١٩٣٢م.

إن وجه الأصالة في شخص وفكر ابن عاشور يتمثل في نشأته العلمية التقليدية، حيث انكب على دراسة المدونات القديمة مثل: التنقيح للقرافي والمزهر في اللغة للسيوطي وشرح الأشموني على الألفية والمفتاح للسكاكي والمواقف للأيجي وموطأ الإمام مالك وغيرها من الكتب على يد المشايخ والعلماء، وكانت عمدة هذه الدراسات استثمار الحدود القصوى للذاكرة، مما حدا به لاحقا إلى التركيز على جانب الحفظ في مشروعه الإصلاحي.[٣]

وخلقت هذه النشأة العلمية عند ابن عاشور تعلقا كبيرا بتلك الكتب فلا زال يحقق منها بعضا، ويدرس منها بعضا آخر، ويقرأ في المخطوط منها والمحقق على الدوام، ولم يكن تعلقه بتلك الكتب ناشئا عن مجرد الألفة بل عن اعتقاد أنها كفيلة بأن توفر للأجيال تربية دينية وخلقية وتورثهم تعلقا بالآداب والفنون، ولما وضع برنامجه الإصلاحي لم يقع في فخ الانبهار بالغرب ومناهجه وجعلها بديلا معرفيا، بل انطلق من التراث إيمانا

---

[١] العالي، بلقاسم: *شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره* (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٦م) ص ٣٧.

[٢] المرجع السابق،ص ٥٨.

[٣] المرجع السابق، ص ١٩٤.

منه بقدرته على الاستجابة لمتطلبات العصر، وهاله ما كتب علي عبد الرازق حول أصول الحكم في الإسلام فردّ عليه ردّاً علمياً رصيناً في كتابه "ردّ علمي على كتاب الإسلام وأصول الحكم".[٤]

ويتجلى وجه المعاصرة عند ابن عاشور في تأكيده على عوامل النهضة والمحافظة على قداسة النصّ الديني، وهذا يفسر إقبال الشيخ المتزايد على العلوم الحديثة للاستزادة منها، وسعيه الحثيث لإدخالها إلى مناهج الزيتونة في وقت لم تكن جامعة من جامعات العالم الإسلامي قد تبنت نهج دمج العلوم القديمة مع الحديثة، فلقي في سبيل ذلك ما لقي، وكانت حجته في ذلك ما سنّه الإمام محمد عبده الذي جسّد بشخصه وفكره المثال الذي كان يتطلع إليه ابن عاشور: الرجل المتزن الحكيم، المنصرف بكليته إلى الإصلاح الفكري والتربوي دون التورط في شغب سياسي أو اللهاث وراء المناصب والرتب، وتجلى كذلك في حرصه على تعلم اللغة الفرنسية والمشاركة في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في استانبول سنة ١٩٥١م[٥]، في وقت لم تكتب فيه أقلام المسلمين سوى عن مكر المستشرقين ودسائسهم، وأهدافهم الصليبية والاستعمارية، ولم تسعَ إلى فهم الفكر الاستشراقي وطبيعة مناهجه.

وبدأت خيوط الأصالة تشتبك مع خيوط المعاصرة حين درّس الشيخ في الزيتونة والمدرسة الصادقية التي أنشئت أصلاً للمزاوجة بين العلوم القديمة والحديثة، وتزامن هذا مع متابعة الشيخ لزيارة الإمام محمد عبده الثانية إلى تونس سنة ١٩٠٥م حيث حرص على حضور دروسه وتدوينها فتشبعت نفسه رغبة في إصلاح مناهج الزيتونة لما رأى من جهود الإمام محمد عبده في المضمار ذاته ولما رأى من تفوق المناهج في المدرسة الصادقية، كما أن المحاولات السابقة لتعديل مناهج الزيتونة والتي انتهت بالفشل استوقفت الشيخ ليعمل نظره في أسباب الفشل ودواعي عدم الاستجابة، فشرع في كتابة برنامجه منذ ذلك الوقت في كتابه "أليس الصبح بقريب".

---

[٤] يأتي تفصيل هذه القضية في مبحث الآخر.

[٥] العالي، ص ٦٥.

إن التجاذب بين طرفي الكلاسيكية والمعاصرة في شخص وفكر ابن عاشور جعل منه العالم الأكاديمي الحاذق في فنون الشريعة، والمصلح الهمام ذا النزعة السياسية الهادئة، وكان محورا طرفي الكلاسيكية والمعاصرة يدوران حول ثنائية النص والرأي، التقليد والاجتهاد، المحافظة على المكاسب والعمل على تطوير مناهج العلوم وإصلاح حال البلاد، وكانت أدوات هذا التجاذب: علم المقاصد والفقه والأصول واللغة وعلم الكلام وما تراكم من أفكار إصلاحية، وجعلت مجتمعة ابن عاشور التقليدي الرصين، والمصلح المعاصر.

فكانت نشأته العلمية التقليدية التي قادته إليها بيئته العائلية ينبوع نبوغه وإن لم تنته كما انتهت بغيره إلى الجمود والوقوف عند الحدود المرسومة منذ قرون متعاقبة، وكانت توجهاته الفكرية التي قادته هذه المرة إليها همته العالية سر سعيه الذي لم ينقطع لسبعة عقود طويلة للإصلاح، ووقفت نشأته في بيئة محافظة تتوخى الحفاظ على مكتسباتها الموروثة حائلا أمام انطلاقة سياسية نشطة وضبطته في صف المحافظين، ولكن هم الإصلاح الذي لم يفارق قلبه وفكره وفق نوعا ما بين وجود هذا الحائل وبين الرغبة الحميمة والصادقة في الإصلاح، وذلك بأن سير دفة الإصلاح إلى مناهج التعليم والتربية، وتقوى هذا المسير بما كان يجري على ساحة الإصلاح الفكري في مدرسة الشيخ محمد عبده، وبضاعته الوفيرة من العلوم شكلت منافذ متنوعة انفتح عليها فكره واجتهاده، ومسارات تسير في خطوط متوازية تارة ومتقاطعة تارة أخرى.

ولفهم أسباب التضارب في فكر ابن عاشور وممارساته لا بد من ملاحظة القوى الفكرية والاجتماعية التي كانت تتجاذبه، إذ كان يتبع سياسة تحقيق التوازن بين مجموع القوى تلك، فعلى ساحة العمل تزامنت جهوده الإصلاحية مع جهود مماثلة للحفاظ على المكتسبات الاجتماعية، وعلى ساحة الفكر تداخلت في مؤلفاته علوم متنوعة بحيث أدت إلى خفاء أعظم إنتاج فكري له "تأصيل الدراسات الاجتماعية".

فأورثه بحثه الدؤوب عن المقاصد عقلية المجتهد واجتهاد العالم وإن خرج به حينا عن مسار جمهور المجتهدين، وتمخضت أبحاثه المقصدية عن تنظير اجتماعي لعلم الأصول لم يسبق إليه يصلح بعد تطويره أن يكون أداة لوضع البديل المعرفي الذي تنشده التيارات